(١٢) فلسطين عبر التاريخ

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

فى مثل هذا اليوم من خمسين عاما – فى الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨م – وقع حدث الأحداث فى تاريخ المسلمين، ومأساة المآسى .

فى مثل هذا اليوم من خمسين سنة اغتصبت الدُّرّة اليتيمة فى تاجنا، اقتطعت فلذة من كبدنا، اقتطعت أرض هى بمنزلة سواد العين وسويداء القلب من أمتنا، اقتطعت فلسطين ليقوم عليها كيان غاصب دخيل سمّوه (دولة إسرائيل) .

فى مثل هذا اليوم من خمسين عامًا حدثت هذه المأساة، ولم تكن مفاجئة، كان هذا ثمرة عمل مخطط مدروس، كان هذا نتيجة جَهْد دائم معروف وملموس، قام به الصهاينة قبل خمسين عاما أو تزيد، منذ بدأت الصهيونية السياسية المنظمة الذى أشرف على إنشائها (هرتزل)، وهو الذى انعقد برئاسته مؤتمر (بازل) سنة ١٨٩٧م فى سويسرا، وأعلن هناك : إن دولة اليهود ستقوم بعد خمسين عاما .

وقد حدث هذا وقامت الدولة .

قام قرار التقسيم بعد خمسين عاما، وأنشأت الدولة بعد إحدى وخمسين سنة . . أعلن قيام دولة إسرائيل رسميا .

وفور قيامها وبعد دقائق اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية، وكان على رأسها (ترومن) الذى كان متحيزاً مائة فى المائة (١٠٠٪) لليهود الصهاينة، ولما نصحه بعض مشاوريه وخلصائه أن يعمل حساب العرب والمسلمين، قال : وماذا عند العرب؟ كم لهم من الأصوات فى الانتخاب؟ هل معهم شئ غير حزمة من الوثائق القانونية؟!

هكذا كان موقف أمريكا.

وبعدها بساعات اعترف الاتحاد السوفيتى، واعترفت أقطار أوربا واحداً بعد الآخر. وعملت أمريكا عملها لتغرى البلدان الصغيرة بالاعتراف بإسرائيل، وأعلن الجميع أن إسرائيل خلقت لتبقى!

كان بداية ذلك – أيها الإخوة – مؤتمر (بازل) الذى تجسدت فيه المنظمة الصهيونية السياسية الجديدة التى أصبحت بديلاً عن الصهيونية الروحية الدينية القديمة.

حاول (هرتزل) فى أول الأمر أن يختار بلداً غير فلسطين. لم تكن فلسطين هى المرشحة الأولى فى أول الأمر، رُشّحت بلدان عدة فى أفريقيا وفى أمريكا اللاتينية، رُشحت (موزمبيق) و(الكونغو) و(أوغندا)، ورُشحت (قبرص) فى بعض الأحيان، ورُشحت (الارجنتين)، رُشحت بلاد شتى.

ولكن اليهود فى العالم لم يتجاوبوا مع ذلك، كانوا مربوطين بالأوطان التى يعيشون فيها. وكانوا يعيشون فيها فى أغلب الأحيان أغنياء موسرين، كما رأيناهم فى مصر وفى غيرها يملكون المتاجر الكبرى ويسيطرون على الثروة وعلى الأسواق وعلى البنوك.

فلم يتجاوب اليهود مع تلك الأقطار.

وهنا رأى (هرتزل) أن يغير الموقف، وأن يبدل الوطن المنشود، ورأى أن يلهب العواطف الدينية، فكانت قضية (فلسطين)، وكانت فكرة (أرض الميعاد).

وهنا استغل (هرتزل) وجماعته الحنين عند اليهود إلى فلسطين والذكريات التاريخية القديمة لهذه الأرض. وفعلاً تبنى المؤتمر اليهودى فى سنة ١٩٠٥م فكرة (أرض الميعاد) .. أرض (فلسطين)، وكان ذلك بعد موت (هرتزل) بسنة.

وظلوا يعملون على ذلك، وتجاوب اليهود فى أنحاء العالم مع هذه الفكرة.

واخترع المخترعون لهم أمرين ليشدوا اليهود لهذه الأرض:

١ – دعوى أن لهم حقًا تاريخيًا فى فلسطين.

٢ – ودعوى أخرى أن لهم حقًا دينيًا فى هذه الأرض.

دعوى اليهود بالحق التاريخى:

قالوا: إنا نحن أصحاب هذه الأرض من الناحية التاريخية، وكذبوا. هذه الأرض كانت للعرب قبلهم، وأصبحت للعرب بعدهم. لم يدخلها اليهود وهى فارغة، بل دخلوها وفيها أهلها. ولم يتركوها وهى خالية، بل تركوها وفيها أهلها، وأهلها هم أهل فلسطين.

مرّ اليهود مروراً عابراً على هذه الأرض، نحو أربعمائة سنة أو نحو ذلك. وكان العرب (اليبوسيون) والعرب (الكنعانيون) هم الذين عاشوا فى هذه الأرض آلاف السنين قبل أن يدخلها إبراهيم عليه السلام وأولاده. ودخلها إبراهيم ضيفًا غريبًا على هذه الأرض، حتى إنه حينما ماتت زوجه سارة لم يجد لها قبراً يدفنها فيه، فتبرع له أحد أبناء فلسطين بقطعة من الأرض، فأبى إلا أن يشتريها منه.

معناها: أن الأرض ليست ملكه حتى اشتراها.

هكذا كان الأمر قديمًا، فحينما دخل اليهود هذه الأرض كان فيها أهلها، وحينما أخرجوا تركوا فيها أهلها أيضًا، فأين الحق التاريخى لهؤلاء؟

بقوا فيها مئات السنين فقط مفسدين فى الأرض، حتى سلّط الله عليهم من الأعداء من عاقبهم وأدبهم.

سلّط عليهم البابليين – بختنصر – فجاسوا خلال الديار، دخلوا ديارهم، وتبّروا ودمروا وخربوا، خربوا الهيكل، وأحرقوا التوراة، وقتلوا من قتلوا، وهدموا ما هدموا، وأخذوا بقية الإسرائيليين أُسارى منفيين إلى أرض بابل (سبعين سنة) فى الأسر البابلى – أو النفى البابلى – الذى تعرفه أدبيات اليهود.

هذا ما حدث.

ثمّ سلط الله عليهم بعد ذلك حينما أفسدوا فى الأرض مرة أخرى – حينما صلح أمرهم بعض الشئ، عادت لهم الكرة على أعدائهم فأفسدوا مرة أخرى فسلط الله عليهم – الرومان فضربوهم الضربة القاصمة، وشتتوهم فى أنحاء الأرض، وحق عليهم ما قاله الله تعالى: ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً** ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

البابليون أزالوا دولة اليهود من فلسطين، والرومان أزالوا الوجود اليهودى من فلسطين، لم يعد لهم وجود فى فلسطين، حتى إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما دخل القدس فاتحًا واشترط بطريق القدس (صفرونيوس) أن لا يسلم مفاتيح المدينة إلا لخليفة المسلمين وأمير المؤمنين بنفسه، وجاء عمر بن الخطاب فى رحلة تاريخية مثيرة وتسلم المفاتيح من هذا البطريق وعقد معه عقداً أو عهداً يسمونه (العهد العمرى) أو (العهدة العمرية): أن يؤمن النصارى الذين يسكنون القدس – أو إيلياء كما كانت تسمى فى ذلك الوقت – على دمائهم وأموالهم ومعابدهم وشعائرهم وصلبانهم، وأن لا يمسوا بسوء وكان من بنود هذه الاتفاقية: أن لا يساكنهم فيها يهود.

هم الذين اشترطوا ذلك، أرادوا أن لا يساكنهم اليهود فى هذه المدينة.

اليهود تركوا القدس وتركوا فلسطين من عهد الرومان، وانتشروا في الأرض، فُرقوا فيها شذر مذر، قطعوا فى الأرض أمما كالذين قال فيهم: ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ** ﴾ [سبأ: ١٩] وتسلم المسلمون القدس، وأقاموا فيها حضارتهم: حضارة العلم والإيمان، ودولتهم: دولة العدل والإحسان. لم يظلموا أحدا، ولم يكونوا كالفاتحين من الأمم الأخرى الذين إذا دخلوا بلدة أذلوا أهلها، أذلوا العباد وأفسدوا البلاد، كما قال الله في شأنهم من قديم على لسان بلقيس: ﴿ **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: ٣٤] ، هذا شأن الاستعمار والفتح الاستعمارى. ولكن فتح المسلمين لم يكن فتحًا استعماريا، كان فتحًا لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الله هى كلمة الحق والعدل والخير والإحسان، فهكذا كان المسلمون.

● **دعوى الحق الدينى ووعد الله لليهود :**

وعاش اليهود تلك الآلاف من السنين، وفجأة تذكروا أن هناك وعداً من الله لهم بأرض الميعاد! أين هذا الوعد منذ دالت دولتكم على أيدى البابليين؟! وأين هذا الوعد منذ زال وجودكم من أرض فلسطين على أيدى الرومان؟! أين كان هذا الوعد؟ لماذا لم ينجز الله وعده لكم؟

إن الله وعدكم أن تدخلوا الأرض وقد دخلتموها، ولكن لم يعدكم بالبقاء فيها أبد الدهر.

قالوا: إن الله وعد إبراهيم أنه سيعطى له ولنسله هذه الأرض.

صدقنا. فمن هم نسل إبراهيم؟

إن إبراهيم كان له ولدان:

ولده البكر والأول: إسماعيل.

وولده الثانى: إسحاق.

لماذا جعلتم نسل إبراهيم منحصراً فى أولاد إسحاق، ولم تدخلوا معهم أبناء إسماعيل؟! هل يكيل الله بكيلين؟ لماذا يحرم الله أولاد إسماعيل وما جنوا ذنباً؟!

قالوا: إن إسماعيل ابن الجارية، وإسحاق ابن الحرّة! هذا ابن هاجر المصرية الأمة وهذا ابن سارة الحرة.

قلنا: ولكن كلاهما من أولاد إبراهيم عليه السلام. لا يضر الأولاد أن يكونوا من أمهات مختلفة ما داموا منسوبين إلى أبيهم، فلا بدّ أن يرثوا أباهم.

ونقول لهم: إن إسرائيل عليه السلام – وهو يعقوب – كانت له زوجتان – ابنتا خاله – أنجب منهما ستًّا من أبنائه (أسباط إسرائيل)، وكان له جاريتان أنجب من الجاريتين ستة أولاد، أى أن نصف بنى إسرائيل أولاد جوارى! فهل تنكروا نسب هؤلاء فى بنى إسرائيل؟!

لا يستطيعون أن ينكروا ذلك.

OBEIKAN.COM

ليس للإسرائيليين حق تاريخى، ولا حق دينى فى فلسطين.

أولى الناس بميراث هذه البلاد هم: المسلمون. الله تعالى يقول: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إن الله لا يعامل الناس بالعروق والأجناس، الله تعالى قال لإبراهيم كما ذكر القرآن: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي** [هذه الإمامة تستمر فى ذريتى؟] **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ١٢٤] الظالمون لا ينالون عهد الله ولا يستحقون هذا الميراث الشريف. وقد قال الله تعالى فى إبراهيم وإسحاق: ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾ [الصافات: ١١٣].

إن إسرائيل حاولت أن تكسب الأوربيين بهذه الدعاوى الباطلة، وهى دعاوى لا أساس لها. وللأسف صدقها كثير من الأوربيين المسيحيين، وخصوصاً (البروتستانت) منهم، الذين يؤمنون بأن من حق إسرائيل أن تكون لها دولة، وهكذا رأينا رؤساء أمريكا منذ عهد (ترومن) ومن بعده، وخصوصاً (كارتر) و(ريجان) و(بوش) و(كلينتون)، كل هؤلاء يؤمنون بهذا الحق الذى يزعمونه لليهود فى التوراة وفى الكتاب المقدس.

يا أيها الإخوة: هذا ما يزعمه اليهود، ونحن نقول: إن الأرض أرضنا .. إن الأرض أرضنا، وليس لهؤلاء حق إلا أن يعيشوا أهل ذمة بيننا، وقد كانوا.

هؤلاء اليهود عاشوا قرونا بين ظهرانى المسلمين يعتبرهم المسلمون فى ذمتهم وحمايتهم. طردهم العالم فى أنحاء الأرض، لفظهم كما تُلفظ النواة، وجاءوا إلى بلاد المسلمين، لم يجدوا كهفاً يؤويهم، لم يجدوا صدراً يتسع لهم، إلا ديار الإسلام.

فلما تمكنوا يوماً قلبوا لهذه الديار ظهر المجن، وبدأوا يعملون لإقامة دولتهم فى قلب ديارنا – فى أرض النبوات .. أرض المقدسات .. الأرض التى بارك الله

فيها للعالمين .. فى أرض الإسراء والمعراج .. فى القبلة الأولى للمسلمين – وأقاموها بالفعل، أقاموها فى غفلة من العرب والمسلمين، لم يدركوا ما يُبيت لهم.

محاولات فاشلة مع السلطان عبد الحميد:

كان هؤلاء يعملون ليل نهار على كل مستوى: المستوى السياسى، والمستوى الاقتصادى، والمستوى الدينى، والمستوى الفكرى، والمستوى العسكرى، ويتصلون بالأمم، وحاولوا أن يرشوا خليفة المسلمين (السلطان عبد الحميد) الرجل الذى رفض بإباء وشمم ملايين اليهود الذهبية التى أغروه بها، بعضها لخزانة الدولة، وبعضها لخزانته الخاصة، فأبى أن يسلم شبراً واحداً من أرض فلسطين ما دام حيًا.

وعد بلفور:

حاولوا هذا، وحاولوا شراء الدول الكبرى، واستطاعوا أن يؤثروا على بريطانيا، خصوصًا بعد أن قامت الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤م)، واستطاع بعض اليهود أن يقدم لهم خدمات، منهم (حايم وايزمان) العالم الكيميائى الشهير الذى اخترع مادة متفجرة أخبر بها البريطانيين، وأراد أن يقدمها هدية لهم فى مقابل وعد منهم بإقامة وطن لليهود.

وصدر هذا الوعد المشؤوم المعروف بوعد (بلفور) – وبلفور هو وزير خارجية إنجلترا – فى الثانى من نوفمبر سنة (١٩١٧م).

ودخلت جيوش الحلفاء إلى القدس سنة (١٩١٧م)، وأعلن القائد الانجليزى كلمته الشهيرة حين قال: اليوم انتهت الحروب الصليبية. أى حققنا ما فشلت وأخفقت فيه الحروب الصليبية القديمة، ودخلنا القدس واحتللنا فلسطين، ما عجز عنه القدماء حققناه اليوم.

هكذا قال القائد الانجليزى الذى دخل القدس.

وقال القائد الفرنسى الذى دخل دمشق عبارة مماثلة، حينما وقف على قبر البطل الإسلامى محرر القدس ومحرر فلسطين وصاحب معركة حطين وقال بشماته: ها قد عدنا يا صلاح الدين.

وقررت عصبة الأمم بعد ذلك أن تكون بريطانيا منتدبة فى فلسطين، أصبح لها حق الانتداب على فلسطين لمدة ثلاثين عاما.

استعلاء اليهود للانتداب البريطانى فى فلسطين:

وفى هذه الأعوام الثلاثين غُرس للصهيونية غراسها، وبُذرت لها بذورها، وسوعدت على أن تقيم منشآتها ومستعمراتها اليهودية – كانوا يسمونها قديماً المستعمرات ثم غيروّها بعد ذلك باسم المستوطنات، هى مستعمرات لأنها منشآت استعمارية فى أرض غير أرضهم – وجمع اليهود الملايين ليشتروا الأرض من الفلسطينيين بأثمان باهظة، ومغرية، وفوق المعتاد، وبأضعاف الأضعاف.

ورفض الفلسطينيون الفقراء والضعفاء، وباع بعض الكبراء والأغنياء للأسف، ولا سيما من غير المسلمين وأخذت أراضٍ من الدولة أو غير ذلك، واستطاع اليهود أن يثبتوا أقدامهم بصورة ما.

أقام اليهود منظماتهم الإرهابية الثلاثة المعروفة، وكانوا فى غاية التنظيم والتنسيق والقوة. على حين كان العرب مبعثرين، كل قرية تدافع عن نفسها بأفراد منها، ليس بينهم رابطة تربطهم، لم يكونوا يملكون من السلاح إلا القليل والضئيل والعتيق، بل كان السلاح ممنوعا عليهم، من يملك رصاصة يعاقب بالسجن خمسة عشر عاما! بينما اليهود يهيأ لهم كل شيئ.

وقد هيئ لهم قبل ذلك حين كان لهم فيلق صغير فى الجيش البريطانى، وكان فى هذا الفيلق (موسى ديان) (وأبا إبان) وغيرهمامن الذين قادوا بعد ذلك الحملات العسكرية فى أرض فلسطين ضد أهلها العرب الفلسطينيين.

الفلسطينيون يقاومون:

مرت الأيام، ولم يستسلم الفلسطينيون، قاوموا بما يملكون، وكانت لهم بطولات وبطولات، رغم ضعف العُدة وضعف الآلة. كانت ثورة عز الدين القسام، وكانت ثورة سنة ١٩٣٦م بقيادة الحاج أمين الحسينى، وكان إضراب عام استمر ستة أشهر ودوخ بريطانيا المنتدبة على فلسطين.

أتعرفون من الذى فك هذا الحصار وفك هذا الإضراب؟ الدول العربية!

OBEIKAN.COM

حكام الدول العربية فى ذلك الوقت هم الذين ناشدوا أهل فلسطين أن يفكوا هذا الإضراب من أجل خاطر عيون الصديقة بريطانيا! هكذا فعل هؤلاء.

قاوم الفلسطينيون مقاومات شتى على قدر ما لديهم.

وكان العرب عامة فى عمى عما يجرى، حتى قيل لأحد رؤساء وزراء مصر فى ذلك الأوان عن قضية فلسطين وما يجرى فيها فقال لهم هذه العبارة المخجلة: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين!!

حسن البنا وقضية فلسطين:

كان رجال الإسلام وحدهم هم الذين يدركون عمق المأساة، وعمق المصيبة. كان (حسن البنا) رحمه الله هو الذى يجوب الآفاق هنا وهناك، يحرك الناس من أجل قضية فلسطين، وكان يعدّ أبناءه للجهاد فى فلسطين، حتى جاء الأوان فى سنة (١٩٤٨م) حينما أعلنت دولة إسرائيل.

وذهب المتطوعون – قبلها كانت ميادين التدريب فى كل مدينة فى مصر، وكنت أحد هؤلاء الشباب الذين دُربوا فى هذه الميادين، ولكن إمامنا الشيخ البنا رفض أن يذهب طلاب الثانوية إلى الجهاد، لم يستثن إلا أحد إخواننا حدثتكم عنه فى خطبة ماضية: الأخ الصديق الحبيب الشهيد عبد الوهاب البتانونى الذى أخذنا له استثناء من الإمام البنا، فقد كان يحلم بالذهاب إلى فلسطين، كانت فلسطين حلمه فى ليله وفكره فى نهاره – وكانت هناك بطولات بارعة ينبغى أن تُروى للأجيال، وأن يسجلها التاريخ، وأن نحفّظها لأولادنا.

كم هناك من شباب كانوا يتهافتون على الموت فى سبيل الله، يتسابقون على الشهادة. كتب الأستاذ كامل الشريف فى كتابه (الإخوان وحرب فلسطين) عن الشباب الذين كانوا معه إذا أراد منهم ثلاثة أو أربعة ليذهبوا فى دورية معينة أو فى مهمة معينة: يأتيه العشرات وكلهم يريد الفوز بالاختيار، فلا يملك إلا أن يجرى بينهم القرعة! ليس هناك حلّ إلا هذا. فإذا أصيب أحدهم فى سبيل الله ابتسم وقال: وعجلت إليك ربى لترضى.

أحدهم أصيب بدانة مدفع قطعت ساقه، فنظر إلى هذه الساق المقطوعة وهو يبتسم رضا وفرحا، وهو ينشد قول ذلك الصحابى القديم:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا على أى جنب كان فى الله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

كان لهؤلاء المتطوعين بطولات ومواقف، حتى قال أحد القادة الانجليز عقب معركة من المعارك قال فى إعجاب: لو كان معى ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين!

إنهم الذين باعوا أرواحهم لله، ووضعوا رؤوسهم على أكفهم، لا يبالون أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم. إن الله اشترى منهم وهم قد باعوا، اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، أرادوا الصفقة فسلموا الثمن.

أذكر فى إحدى القرى التى كنت أطوف بها لنجمع التبرعات لفلسطين ونجمع الأسلحة الخفيفة لفلسطين، أذكر ذلك الأخ الذى جاء إلى رئيس الإخوان فى (بسيون) وقال له: إنى أريد أن أذهب إلى فلسطين، وسأبيع جاموستى وأسلح نفسى. فقال له: يا أخ حسن، خلِّ جاموستك لأولادك وتعال أنت، أنت ليس عندك مال، هناك أناس أصحاب أموال يجهزونك و«من جهز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا..»(١)، فقال له: يا حاج أحمد، ألم تتلُ علينا قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...**﴾ [التوبة: ١١١]؟ هل اشترى الأنفس وحدها، أم اشترى الأنفس والأموال؟

قال له: اشترى الأنفس والأموال، قال: فأنا أريد الجنة، فأريد أن أبذل نفسى ومالى لله.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى، عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه. وتتمته: «ومن خلف غازيًا فى أهله بخير فقد غزا». (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١/٣٧٣ برقم ٦٦٦).

هذه هى الروح التى كانت سائدة فى الأمة [1].

دخول الجيوش السبعة فلسطين:

وليت الجيوش السبعة لم تدخل فلسطين، ليتها تركت هؤلاء المتطوعين وأمدتهم بالقليل من السلاح والقليل من العتاد، والله لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير مع اليهود وأن يدوخوهم، وقد حدث بالفعل.

كان المفروض حينما دخلت الجيوش العربية فلسطين، أن تعلن قيام دولة فلسطين حسب التقسيم الذى أُعلن قبل ذلك بسنة (سنة ١٩٤٧م). حسب قرار الأمم المتحدة أن هناك دولة للفلسطينيين ودولة للإسرائيليين، وقد أعلنت دولة إسرائيل فلا بد أن تعلن دولة فلسطين، وكان على الجيوش التى دخلت أن تفعل ذلك، ولكنها للأسف لم تفعل – مع أنه كان هناك حكومة للفلسطينيين تسمى: (حكومة عموم فلسطين) برئاسة أحمد حلمى باشا، وكان هذا معروفا فى ذلك الوقت – كل جيش دخل استولى على منطقة وأصبح يحكمها بنفسه، وطبعًا لا يسمح للفلسطينيين أن يقيموا دولة داخل الدولة، وهذه أول غلطة أو أول جريمة.

قيام الكيان الصهيونى:

حدث ما حدث أيها الإخوة، واستطاعت إسرائيل – بالمجازر البشرية .. بالهول .. بالإرهاب ... بالرعب الذى بثته فى القلوب .. حينما قتلت الأطفال والنساء والشيوخ بلا هوادة ولا رحمة، فى (دير ياسين) وغير دير ياسين، حينما كانوا يتنافسون ويتضاحكون ويمسكون بالمرأة الحامل ويقولون: ما رأيكم فيما فى بطنها؟ أهو ذكر أم أنثى؟ ويتراهنون على هذا، ثم يشقون بطنها ويخرجون الجنين منها، فإذا هو ذكر نجح هذا وكسب الرهان، أو أنثى .. وهكذا، ثم يقتلون الأم وجنينها معها. بهذه المجازر التى يقول فيها (بيجن): لولا انتصار

---

(١) راجع ما كتبه الشيخ القرضاوى تحت عنوان (الجانب الجهادى) فى كتابه (التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا) ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

دير ياسين ما قامت دولة إسرائيل. اعتبر هذه المجزرة وقتل البرآء والآمنين والنساء والأطفال انتصارا.

دولة عنصرية:

لكن، هذه هى صهيون، وهذه هى إسرائيل، وهذه طبيعتها.

لقد ابتلينا بقوم لا خلاق لهم، ابتلينا بشر أنواع الاستعمار، كما قال من قال: (الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار) تجسدت فى هذا الاستعمار الآفات الخلقية والنفسية للنفس اليهودية والصهيونية.

أولَى هذه الآفات: العنصرية. فهؤلاء يؤمنون أنهم الشعب المختار، وأن الله لهم وحدهم!.

نحن نقول: الله رب العالمين، وهم يقولون: الله رب إسرائيل! أحتى (الله) عنصرى عند هؤلاء؟!

شعب عنصرى.

يقولون: لليهودى لا تقرض بربا، ولغيره تقرض بالربا! فالحلال يختلف والحرام يختلف باختلاف الناس. ونحن عندنا الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع. أما هؤلاء فيقولون: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾ [آل عمران: ٧٥]، يستبيحون دماء الأمم وأموالها وحرماتها.

دولة تقوم على العنف والإرهاب:

العنصرية هى آفة هؤلاء الأولى.

ثم: القسوة والعنف، كما وصفهم الله تعالى فى كتابه: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾. ويقول: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ [المائدة: ١٣].

التوراة نفسها تصفهم بذلك، وتسميهم: الشعب الصُلب الرقبة.

هؤلاء ظهرت قسوتهم وظهر عنفهم فيما رأينا من مجازر قبل قيام إسرائيل، وبعد قيام إسرائيل: صبرا وشاتيلا وبحر البقر... إلخ هذه الأشياء التى سمعنا بها ولا نزال نسمع.

هؤلاء هم الذين ذبحوا من ذبحوا فى الخليل، ذبحوا المصلين الراكعين الساجدين الصائمين فى شهر رمضان وفى صلاة الفجر.

هم الذين قتلوا من قتلوا فى نفق القدس.

هم الذين قتلوا من قتلوا فى (قانا) فى لبنان.

هؤلاء يتميزون بالقسوة والعنف إن كانت هذه ميزة. هؤلاء أيضا من آفاتهم: اللا أخلاقية، لا يعترفون بقيمة الأخلاق، ولا بإلزامية الأخلاق، لا يعترفون إلا بالمنفعة، والمنفعة لهم خاصة. فلا قيمة خلقية ثابتة لديهم، الغاية عندهم تبرر الوسيلة، كل الوسائل عندهم مشروعة، حتى إباحة الأعراض وإباحة النساء وإباحة كل شئ، لا يتورعون عن شئ فى سبيل غايتهم، وهذا ما قاله لهم تلمودهم.

نحن عندنا كل شئ لا بد أن تحكمه الأخلاق والقيم، فى السلم والحرب، فى السياسة والاقتصاد، فى كل مجال من مجالات الحياة: لا يجوز للمسلم أن يتعدى حدوده، ومع الناس جميعا: «أدِّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك» ومن الوصايا المفهومة فى الحرب: «لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا (أى بجثث الأعداء) ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا».

أما هؤلاء فلا أخلاق لهم ولا خلاق لهم.

من آفات الطبيعة اليهودية: الإرهاب، وهو من ثمرة هذه الأشياء، هم أكبر الإرهابيين فى العالم.

هم يقولون عن حركة (حماس) وحركة (الجهاد) إنهم الإرهابيون! ويريدون من السلطة الفلسطينية أن تقضى على الإرهابيين، أى تقضى على حركة حماس وحركة الجهاد.

وحماس - وكذلك الجهاد - ليست إرهابية، حماس تدافع عن وطنها، تدافع عن أرضها، تدافع عن أهلها، تدافع عن عرضها، تدافع الغاصبين الظلمة الذين لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا يرعون لأحد عهداً ولا حرمة. حماس تقاتل بشرف.

هذا إن سموه إرهابا، فهو الإرهاب المشروع ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ**

﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] أما إرهاب اليهود الذين أقاموا على أساسه دولتهم فهو إرهاب غير مشروع، إرهاب ظالم، إرهاب باغ مستكبر فى الأرض.

شر استعمار فى الأرض:

إننا أصبنا بشر استعمار، لأنه استعمار استيطانى إحلالى. كان هناك استعمار مشابه فى الجزائر من فرنسا، ولكن الفرنسيين لهم وطن يعودون إليه. ثم هم أرادوا أن يشاركوا الجزائريين فى وطنهم، دون أن يخرجوهم منه. وهؤلاء ليس لهم وطن، جاءوا شُذّاذاً فى الآفاق من بلاد شتى وهم يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطنهم، وأن يحلوا محل أهلها بعد طردهم منه. فهذا شر أنواع الاستعمار.

وهو استعمار ظالم باغ فى الأرض بغير الحق، متكبر جبار.

هذا هو الاستعمار الصهيونى الإسرائيلى الذى ابتليت به أمتنا، فهل نستسلم لهذا الاستعمار؟

لقد قاومنا وقاومنا، ثم رأينا فئة منا سئمت طول الطريق، سئمت طريق الجهاد والكفاح، وسعوا وراء السلام، وهو سلام هزيل .. سلام أعرج .. سلام لا يعيد الحق إلى أهله .. سلام علقت فيه القضايا المهمة: قضية القدس، وقضية اللاجئين المشردين، وقضية المستوطنات والمستوطنين، وقضية الحدود. هذه القضايا المهمة كلها عُلقت، فما الذى حُل من القضايا؟!

رضينا بالظلم والظلم لم يرض!

هذا السلام – الذى قبله من قبله – أصبحت إسرائيل تركله بقدميها، ولا تبالى به، ومع هذا نحن نجرى وراءها ونركض، نقول: سنصبر على إسرائيل، سنصبر ونصبر! أى صبر هذا؟! إنه ليس الصبر المحمود الذى أمر به الله ورسوله، بل هو الصبر المذموم، إنه ليس صبر الأحرار بل هو صبر الحمير. صبر الحمير الذى عبر عنه الشاعر قديماً حينما قال:

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملاً لا يطيق

سأصبر والأمور لها اتساع ... كما أن الأمور لها مضيق

فإما أن أموت أو المكارى ... وإما ينتهى هذا الطريق!

هذا هو صبر الحمار، وليس هو صبر الأحرار.

فى حلقة فى قناة فضائية منذ ليال، سمعت أحد ضيوفها يقول: إن الحروب لا تحل مشكلة، لا يحل المشاكل إلا الحوار، مهما طال، ولو امتدّ سنين، ولو حصلنا على واحد فى المائة أو أقل!!

يا عجبًا، أى حوار هذا؟! كيف يتحاور الحَمَلُ والذئب؟! كيف يتحاور القلم والسيف؟! كيف يتحاور اللحم والسكين؟! كيف تتحاور العذراء ومغتصبها؟! كيف يتحاور صاحب الدار واللص المؤجج بالسلاح؟! أى حوار هذا؟!

إن الحوار هنا لا يجدى فتيلا، ولا يغنى شيئا، لأنه حوار بين الحق والقوة .. الحق الأعزل والقوة المسلحة.

طريق الجهاد والمقاومة:

ليس هناك إلا طريق واحد: هو (الجهاد) .. هو (المقاومة)، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

هذا هو منطق الدين، ومنطق الفطرة، ومنطق التاريخ، ومنطق الواقع: أن الإنسان لا يسلم فى أرضه ولا عرضه ولا حرماته وإن أصابه ما أصابه، ويقاوم ما استطاع المقاومة.

الشاعر العربى قديمًا قال:

وكنتُ إذا قوم غزونى غزوتهم ... فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم؟

متى تحمل القلب الذكى وصارمًا ... وأنفًا حميًّا تجتنبك المراغم

هذا ما يقوله منطق الشاعر قديما.

وأما الشاعر حديثا فقال:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعًا وإن تلقه بالشر ينحسم

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ولهذا قال من قال: إن الشر بالشر يُحسم، والبادئ أظلم.

والله تعالى يقول: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا**

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦].

ويقول سبحانه : ﴿ فَلا تَهِنُوا [أى لا تضعفوا] وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٥]

وفى آية أخرى يقول : ﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٤].

لم يكلفنا الله تعالى أن يكون عندنا من السلاح ما عند أعدائنا، لا نملك ما تملك إسرائيل من الترسانة النووية، ولكنا نملك إرادتنا، نملك أيدينا، نملك الأسلحة الخفيفة، نملك هذه الأشياء وهى قوة فى أيدينا. إن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠]. لم يقل : (أعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم) قد لا نستطيع ذلك، إنما المهم أن نبذل ما فى استطاعتنا.

ونحن نستطيع الكثير لو أننا وحدنا صفوفنا. إن الذى جعل إسرائيل تتجبر علينا، وتعبث بنا، وتتحكم فينا، وتريد تركيعنا، وأن نحنى لها رؤوسنا، وأن نقبل أقدامها، وأن نلعق أحذيتها – وكأن بعض الناس لا يجدون فى ذلك غضاضة، يريدون أن يلعقوا أقدام إسرائيل! ما هذا يا قوم؟ أين العزة العربية الإسلامية؟ والله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨]. نحن نملك أنفسنا ، نملك أن نقول : لا، بملء أفواهنا، نملك أن نصرخ : نريد فلسطين.. لن نسلم فلسطين، لن نسلم القدس أبدا .. سنموت دونها، ليمت مائة ألف .. مليون .. مليونان من العرب والمسلمين، لن يضر ذلك المسلمين شيئا – إنه اليأس الفلسطينى[1]، والعجز العربى، والوهن الإسلامى، والتفرد الأمريكى، والغياب العالمى، كل هذه العوامل جرأت إسرائيل.

---

(١) المقصود : يأس السلطة والقيادة، وليس يأس الشعب، فالشعب الباسل لم يستسلم أبدا.

ولكن نقول: إننا معنا الحق، نحن أصحاب الحق، والحق منصور فى النهاية، معنا الله وملائكته وصالح المؤمنين، ومعنا الأرض والسماء، كل شئ سيكون فى صفنا، كما أخبرنا رسول الله ﷺ عن المعركة الفاصلة الآتية لا ريب فيها فى يوم من الأيام – وهذه بشرى ينبغى أن نحفظها ونعيها ونؤمن بها – أننا سنقاتل اليهود وتقاتلنا اليهود، وكان المسلمون فى الأزمنة الماضية يعجبون كيف يقاتلنا اليهود وهم فى ذمتنا وحمايتنا، ما عرفوا أن الزمن سيتغير وأن الدنيا ستتطور: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله..»[1].

معنى هذا: أن كل شئ سيكون فى نصرة المسلمين، حتى الأحجار والأشجار تتكلم. هل تتكلم بلسان المقال أو تتكلم بلسان الحال؟ ليس بعزيز على قدرة الله أن ينطق الحجر والشجر.

كل شئ سيكون معنا، لأننا أصحاب الحق، والدنيا دول، والدهر قُلَّب، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، إذا كان اليوم اليهود أقوياء ومعهم أمريكا، فإن دوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لا بد من المقاومة، ليس هناك من سبيل إلا المقاومة، وإن طالت، وإن كانت ثمرتها الآن قليلة. الصبر هنا هو المطلوب، نصبر ونصابر ونرابط كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وليست المعركة معركة عسكرية فقط، إنها معركة عسكرية، ومعركة اقتصادية، ومعركة سياسية، ومعركة ثقافية، ومعركة اجتماعية، ومعركة دينية.

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه. ذكره فى صحيح الجامع الصغير (٧٤٢٧).
وتتمته: «إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» وقد رواه البخارى أيضا. وكذلك رواه الشيخان عن ابن عمر..

لا بد أن ندخل المعركة فى كل ميادينها وبكل أبعادها، لا بد أن نقاطع إسرائيل ومن وراء إسرائيل، لا بد أن نرفض التطبيع أيًّا كانت صورته وكان شكله.

لا تطبييع مع العدو:

لا تطبيع مع هذا الغاصب المعتدى.

كيف تكون علاقتنا طبيعية مع الذين يهتكون عرضنا، ويغتصبون أرضنا، ويلوثون حرماتنا؟ كيف تكون علاقتنا طبيعية مع هؤلاء الذين فعلوا بنا الأفاعيل؟ هذا عجب من العجب.

يجب أن نرفض التطبيع الاقتصادى، والتطبيع السياسى، والتطبيع الثقافى، والتطبيع الاجتماعى، ونرفض كل ما يجئ من إسرائيل، هذا هو واجبنا.

والمعركة مستمرة أيها الإخوة، لن نلقى السلاح، سنظل نجاهد، وسنظل نقاطع، وسنظل نقاوم، ونؤيد إخوتنا المقاومين الأبطال الذين لم يستسلموا ولم يرضوا يومًا أن يبيعوا أرضهم ووطنهم تحت أسماء لا معنى لها ولا مضمون لها.

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة الإسلامية، إنتفاضة أشبال الحجارة أقوى مما كانت، وأن تنضم فيها السلطة الفلسطينية إلى الشعب الفلسطينى. لا يجوز أن ينقسم الفلسطينيون إلى سلطة وشعب، وماذا كسبت السلطة؟ لقد تنازلت وتنازلت ولكن إسرائيل تركب رأسها، ولكن إسرائيل تتيه كبراً وفخرا، ولا تريد أن تعطى شيئا، حتى الفُتات لا تجود به، وصدق الله العظيم إذ وصفهم بقوله: ﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً** ﴾[النساء: ٥٣].

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة، وأن تعود فلسطين يداً واحدة، وشعبا واحداً، يقاوم ما استطاع إلى المقاومة، ولن يسلم فى شبر من أرضه، وإنا لهذا اليوم لمنتظرون ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾

[الروم: ٤-٦]

أقول قولى هذا – أيها الإخوة والأخوات – وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فقد ورد أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى. اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين.

* * *

OBEIKAN.COM

(١٣) رسالة إلى المؤتمر الإسلامي التاسع[١]

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ينعقد في (الدوحة) بعد غد مؤتمر القمّة الإسلاميّة التاسعة. هذا المؤتمر الذي يمثّل ملياراً وثلث المليار من المسلمين، يمثل ألفاً وثلاثمائة مليون في العالم ممّن يشهد: (أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله).

مؤتمر يمثّل هذه الأمّة الكبرى لا بّد أن تكون له أهميتّه، وبخاصّة أنّه ينعقد في جوّ يتطلّب من هذه القمّة أن تتخذ مواقف حاسمة.. مواقف تاريخيّة، تثبت للأمة وجودها، وتثبت ذاتيّتها، ويتجاوب فيها القادة مع الشعوب والجماهير، فلا تعيش الجماهير في واد وقادتهم وحكّامهم في واد آخر.

الأمة الإسلاميّة حقيقة لا وهم:

هذه القمّة تمثل أمّة الإسلام، وبعض الناس يحاول أن يشكّك في وجود هذه الأمّة، قال لي بعضهم: أين هذه الأمّة؟ إنّها وهم وليست حقيقة! قلت له: لا، هذه الأمّة حقيقة وليست وهما، هي حقيقة بمنطق الدين، وهي حقيقة بمنطق التاريخ، وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة بمنطق العصر الذي نعيش فيه، وهي حقيقة بمنطق أعدائنا أنفسهم.

أمة بمنطق الدين:

هي حقيقة بمنطق (الدين)، فإنّ الله سمّى المسلمين (أمّة) وقال: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**..﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**..﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ**

---

(١) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ١٣/ شعبان/ ١٤٢١هـ الموافق ١٠/ نوفمبر/ ٢٠٠٠م.

OBEIKAN.COM

﴿ فاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢]، ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢]، كأنّما يشير إلى أنّه لا تتمّ العبادة ولا تكتمل التقوى إلاّ بوحدة الأمّة.

أمّة بمنطق الدين، أمّة ربّها واحد، ورسولها واحد، وكتابها واحد، وعقيدتها واحدة، وشريعتها واحدة، وقبلتها واحدة، فكيف لا تكون أمّة؟

أمّة بمنطق الدين، لأنّ الدين بفرض عليها أن تكون أمّة متماسكة ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.. ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

منطق الدين يقول : إنّ الأمّة الإسلاميّة حقيقة.

بمنطق التاريخ :

وهي كذلك حقيقة بمنطق (التاريخ)، فقد عاش المسلمون أمّة واحدة طوال ثلاثة عشر قرناً، تجمعهم – بعد وحدة القبلة ووحدة العقيدة – وحدة الدار.. دار الإسلام، الفقهاء يسمّون أوطان المسلمين، دار الإسلام، هي دار وليست ديار الإسلام، دار واحدة تجمع المسلم مع المسلم حيثما كان، مهما تفرّقت به الأوطان أو الألسنة أو الألوان.

وحّدتهم دار الإسلام، ووحّدتهم مرجعيّة الشريعة التي لم يعرفوا مرجعاً غيرها يحتكمون إليه، ويقضى به قضاتهم، ويفتي به مفتوهم، طوال ثلاثة عشر قرناً، أي قبل أن يدخل الاستعمار بلاد المسلمين، ويلغي الشريعة الإسلاميّة، ويحلّ محلّها القوانين الوضعيّة.

التاريخ يقول : إنّ هذه الأمّة كانت أمّة واحدة وحّدتها العقيدة والشريعة والقبلة ووحّدتها دار الإسلام، ووحّدتها قيادة واحدة، فقد كان هناك (خليفة) يحكم الأمّة منذ الخلفاء الراشدين فالأمويّين فالعباسيّين فالعثمانيّين إلى أن ألغيت الخلافة وهدمت هذه القلعة التاريخيّة.. هذه المظلّة التي كانت تُظلّ الأمّة الإسلاميّة حتى ألغيت سنة (١٩٢٤م) حينما قامت الدولة العلمانيّة الأتاتوركيّة الحديثة.

منطق التاريخ يقول : هذه الأمّة حقيقة.

بمنطق الجغرافيا :

وهي حقيقة كذلك بمنطق (الجغرافيا)، فهى أمّة تعيش على رقعة من الأرض متصلة بعضها ببعض، لأنّ الإسلام كان ينتشر انتشاراً طبيعياً، ينتقل من منطقة إلى منطقة مجاورة، وهكذا حتى أصبح هذا العالم الإسلامي الذي نراه، هذه الكتلة الخضراء على خريطة العالم.

منطق العصر :

هي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة كذلك بمنطق (العصر) الذي نعيش فيه.

العصر الذي نعيش فيه يقول: إنّه لا مكان للكيانات الصغيرة، لا بدّ أن تتجمعّ الكيانات الصغيرة لتكوّن شيئاً كبيرا.

هذا ما رأيناه في العالم من حولنا، فهم يريدون للعالم كلّه أن يتكتّل بعضه مع بعض، وأن يتمزّق المسلمون وحدهم، لا تجمعهم غاية، ولا توحّدهم جبهة.

رأينا العالم يتقارب، وأقرب مثل لذلك: هذا التقارب الأوربي الذي أصبح يكوّن كياناً ثقافياً واقتصادياً وسياسياً واحداً هو (الاتحاد الأوربي)، على رغم ما كان بين الأوربيّين بعضهم وبعض من حروب سُفكت فيها الدماء، وأُزهقت فيها الأرواح بالآلاف والملايين، آخر هذه الحروب: الحربان العالميّتان الأولى والثانية، وكم حُصدت فيهما من عشرات الملايين بأيدي الأوربيّين بعضهم مع بعض.

هؤلاء نسوا هذه الحروب، ورأوا أنّ المصلحة تقتضي أن يتقاربوا ولا يتباعدوا، وأن يتحدوا ولا يختلفوا، وأن يجتمعوا ولا يتفرّقوا.

هذا هو منطق العصر، منطق التكتل، نرى بعض الدول: (دولتان) أو (ثلاث) تشترك في صنع طيّارة متطوّرة!

ذلك لأنّ هذا العالم لا يستطيع الكيان الصغير أن يعيش فيه، فلماذا يُراد بنا نحن المسلمين وحدنا أن نظلّ كيانات هزيلة؟! بعض الدول لا تكاد تراها على خريطة العالم إلاّ بمجهر!

أهذا هو الذى يراد لهذه الأمّة التى اعتبر دينها توحيد الكلمة بجوار كلمة التوحيد ؟! قام هذا الدين على وحدة المعبود ووحدة العابدين.

منطق العصر يقول: إنّ هذه الأمّة هي حقيقة.

بمنطق أعداء الأمة:

منطق (أعداء الأمّة) أنفسهم يقول: إنّ الأمّة الإسلاميّة حقيقة وليست وهما. هم لا ينظرون إلينا عرباً وعجماً، لا ينظرون إلينا تقدميّين ورجعيّين أو يمينيّين ويساريين، ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم (أمّة).

لقد رأينا إسرائيل تقلق وتنزعج، ويصيبها الفزع والرعب، حينما ملكت باكستان (القنبلة النوويّة)، أفزعها أن تملك دولة إسلاميّة قنبلة! وحينما ملكت إيران الصاروخ (الشهاب الثانى) أفزعها ذلك.

يفزعها أن تقوى أمّة إسلاميّة، وهي تحاول أن تصيد في الماء العكر، وأن تمزّق الروابط بين المسلمين بعضهم وبعض.

هم ينظرون إلى المسلمين ككتلة واحدة.. كأمّة واحدة هكذا ينظر الصهاينة، وهكذا ينظر الأمريكان، وهكذا ينظر الآخرون.

ولذلك أنا أقول – أيّها الإخوة –: المسلمون أمّة، هذه هي حقيقة وليست وهما[1].

ماذا تملك الأمة من أسباب القوة؟

امتلاك الأمة مقومات السيادة:

وهي أمّة تملك من مقوّمات السيادة والريادة ما يجعلها في الطليعة وليس في الذيل، لو أحسنت الاستفادة ممّا آتاها الله من قدرات.

القوة البشرية:

هذه الأمّة تملك القوّة العدديّة (ملياراً وثلثاً). والقوّة العدديّة نعمة أيضاً،

---

(١) للشيخ القرضاوى رسالة فى غاية الأهمية حول حقيقة وجود الأمة، وأنها حقيقة لا وهم، بعنوان: (الأمة الإسلامية.. حقيقة لا وهم، طبع مكتبة وهبة بالقاهرة، وهى فى الأصل نقاش دار بين الشيخ القرضاوى والكاتب المعروف السيد يس، على صفحات جريدة (الأهرام)، المصرية.

الله تعالى يقول: ﴿ .. وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ .. ﴾ [الأعراف: ٨٦] امتنّ بالكثرة.

الشاعر العربي يقول:

. . . . . وإنّمـا العـزّة للـكاثـر

ويقول الآخر:

ملأنا البرّ حتى ضاق عنـا ونحن البحر نملأه سفينـا

نحن أمّة كبيرة في العدد.

للأسف بعضنا يعتبر العدد كأنّه نقمة، أو كأنّه كارثة. لا، لو انتفعنا بهذه الأعداد وأحسنا توظيفها، كما يفعل الصينيون، لأصبح لنا شأن.

القوة الاقتصادية:

نملك القوّة البشريّة العدديّة، ونملك القوّة الماديّة والاقتصاديّة، فنحن عندنا من الثروات المذخورة في باطن الأرض، والثروات المنشورة على ظاهر الأرض، عندنا من الثروات المعدنيّة والزراعيّة والمائيّة، ما لا تملكه أمّة أخرى، لو تكامل بعضنا مع بعض.

للأسف منذ سنوات قرأت أنّ نسبة التبادل التجاري بين المسلمين بعضهم وبعض لم تبلغ ثمانية في المائة (٨٪)! أهذا معقول؟! لماذا لا نقوّي هذه الروابط الاقتصاديّة والتجاريّة بين أبناء الأمّة المسلمة؟

الأمّة تملك ثروات هائلة، وتملك موقعاً في العالم، في سُرّة العالم.

وتملك من البحار والبحيرات والأنهار والمضايق ما لا يملكه غيرها: مضيق عدن، ومضيق البوسفور، ومضيق الدردنيل، ومضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب.

نملكّ أشياء كثيرة كلّها مصدر من مصادر القوّة.

القوة الروحية:

ونملك فوق ذلك: القوّة الروحيّة. نملك أعظم رسالة في العالم (رسالة الإسلام). نحن وحدنا الذين عندنا الوثيقة السماويّة الإلهيّة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، والتي تتضمّن كلمات الله الأخيرة للبشريّة في الرسالة الخاتمة

(رسالة محمّد ﷺ)، عندنا القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. عندنا رسالة التوازن والتكامل التي تصل الأرض بالسماء، وتصل الدنيا بالآخرة، وتصل الخلق بالخالق، وتجمع بين الروح والمادة، وتمزج بين العقل والقلب.

رسالة التوازن هذه تعطيك الإيمان ولا تسلبك العلم، وتعطيك الروح ولا تأخذ منك المادّة، وتعطيك الآخرة ولا تنزعك من الدنيا.

هذه هي رسالتنا التى نقدّمها إلى العالم طوق نجاة وسفينة إنقاذ.

نحن وحدنا الذين نملك هذه القوّة الروحيّة، وهذه الرسالة الربانية العالمية.

القوة الحضارية:

نحن نملك القوّة الحضاريّة، نحن أمّة عميقة الجذور ضاربة في أغوار التاريخ، ليس عمرنا مائة سنة أو مائتي سنة كبعض الدول الكبرى، نحن عمرنا طويل.

الإسلام صار له أربعة عشر قرناً، ولكنّ الإسلام ضمّ أمماً عريقة ذات حضارات ضاربة في التاريخ من قديم: الحضارة الفرعونية.. الحضارة الفينيقيّة.. الحضارة الآشوريّة والبابليّة والكلدانيّة.. الحضارة الفارسيّة.. الحضارة الهنديّة، هذه الحضارات فى أرضنا.

في أرض الإسلام نبتت الحضارات، ونبتت الرسالات السماويّة كلّها: اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام، كلّها نبعت من هذه الأرض.

نحن أمّة ذات حضارة، ذات عمق حضاري، ذات عمق تاريخى، لسنا أمّة على الهامش، ولا أمّة قريبة القاع أو قريبة الجذور.

هذه كلّها من مصادر القوّة، فلا بدّ لهذه الأمّة أن يكون لها مكان تحت الشمس، وهذا ما نطالب به قادة هذه الأمّة: أن يعوا دور هذه الأمّة، أن يتحرّروا، من الخوف، ويتحرروا من الخنوع، ويتحرروا من الشعور بالدونية أمام الحضارة الغربيّة.

لا والله لسنا أذيالاً وقد خلقنا الله رؤوساً، لسنا عبيداً وقد ولدتنا أمّهاتنا أحرارا.

نحن كنّا الأمّة الأولى والعالَم الأوّل طوال عشرة قرون، كانت حضارتنا هي الحضارة السائدة فى العالم، كنّا معلّمي الدنيا، في جامعاتنا جاء التلاميذ من

أنحاء العالم، وكان علماؤنا هم أساتذة البشر، أشهر أسماء العلماء طوال تلك العصور كانت أسماء علمائنا. أشهر المراجع العلمية في العالم كانت كتب علمائنا. تلك العصور التي كانت تعتبر في أوربّا عصور الظلام هي عصور النّور عندنا.

نحن صنعنا الحضارة، وأخذنا من اليونان وأخذنا من الفرس وأخذنا من الهنود وأخذنا من غيرهم، ولكنّا أضفنا وهذّبنا ونقّحنا، وأنشأنا علوماً - ابتكرنا علوماً - مثل علم الجبر، ولم نشعر أبداً أنّ هذه الحضارة كانت مضادّة للدين أو أنّ العلم مناقض للإيمان، بل سار العلم والإيمان جنباً إلى جنب، حتى إنّ كثيراً من علماء الدين كانوا علماء في الكونيّات والطبيعيّات، مثل (ابن رشد) الذي كان قاضياً وكان فقيهاً مجتهداً، وهو صاحب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه المقارن، وهو الفيلسوف الكبير شارح أرسطو، وهو كذلك صاحب كتاب (الكلّيّات) في الطب ومن أشهر أطبّاء العالم، وكان كتابه مرجعاً لأوربا لعدّة قرون وترجم إلى اللاّتينيّة. وكذلك (الفخر الرازي) المفسّر والأصولي والمتكلّم والفقيه، هذا الرجل قالوا: كانت شهرته في الطب لا تقلّ عن شهرته في علوم الدين! و(ابن النّفيس) الذي ترجم له (السُّبكي) في (طبقات الشافعيّة) كأحد فقهاء الشافعيّة، هو الذي اكتشف الدورة الدمويّة الصغرى.

كنّا نحن الأمّة الأولى والعالَم الأوّل، الآن نحن (العالم الثالث)! وأعتقد أنّ فينا دولاً لو كان هناك عالم رابع لنسبت إليه؛ لما تعاني من تخلّف وما تعاني من جهل وفقر ومرض!

الأمّيّة لازالت منتشرة في بلادنا، وهي لطخة سوداء في جبين أمّة أوّل آية نزلت على رسولها تقول: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: ١]. لا بدّ أن نمحو الأمّيّة من هذه الأمّة، لا بدّ أن يتضامن أبناء هذه الأمّة لمحو هذا العار.

نحن إذن نملك مقوّمات القوّة، فلماذا نرضى لأنفسنا الدون، ونقنع بالعيش الهون؟

إنّنا نطالب القمة الإسلاميّة التاسعة المنعقدة في هذا البلد الكريم أن تكون على مستوى الأحداث، وأن تكون على مستوى الأمة التي يمثلون شعوبها، وأن تكون على مستوى الطموحات والآمال المعلّقة عليها.

مطالبنا من القمة الإسلاميّة:

أوّل ما يُطلب من هذه القمّة: هو قضيّة القضايا، قضيّة المسلمين الأولى، قضيّة أولى القبلتين وثالث المسجدين المعظّمين، قضيّة القدس الشريف، قضيّة الأقصى، قضيّة الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، قضيّة فلسطين.

لا بدّ لهذه القمّة أن تكون على مستوى ما يطلب منها أبناء هذه الأمّة.

ليس من المعقول أن تظلّ إسرائيل تصول وتجول، وتعربد، وتسفك الدماء، وتزهق الأرواح، وتدمّر المنشآت، وتحرق المزارع، وتقتل النّساء والأطفال والشيوخ والمدنيّين، ولا تجد من يؤدبّها ويعاقبها، أو يقول لها: قفي عند حدك.

لقد وقف أبناء فلسطين وقفة الرجال، وقفة الأبطال، صغارهم وكبارهم، رجالهم ونساؤهم، فعلى أمّتنا أن تؤيّد هؤلاء، وألاّ تضيّع دماءهم هدرا.

على أمّتنا أن تشعر بأنّ عليها واجباً نحو فلسطين، كما يشعر كلّ يهودي في العالم بأنّ عليه واجباً نحو إسرائيل. اليهود أحرص الناس على حياة، وأبخل الناس بدرهم ودينار، جادوا بأنفسهم، وجادوا بأموالهم، من أجل إقامة إسرائيل.

فهل يتباطأ المسلمون؟ هل تتباطأ أمّة القرآن وأمّة محمّد عليه الصلاة والسلام عن النّهوض بواجبها نحو إخوانهم في الأقصى وفي القدس الشريف؟! لا والله.

إنّ الأمّة الإسلاميّة في كلّ مكان مستعدّة أن تبذل الروح وتبذل الدم، وتضع الرؤوس على الأكفّ، في سبيل هذه القضيّة المقدّسة. ولكن الطريق مسدود، والأبواب مغلّقة.

طالما ناديت من فوق هذا المنبر: افتحوا الحدود، افتحوا الأبواب لطلاّب الشهادة، ولكن الاعتبارات السياسيّة التي تحكم القادة والزعماء، والمخاوف التي تمتلىء بها قلوبهم من الغرب و بعبع الغرب، ومن أمريكا وحلفاء أمريكا، هي التي تُملي عليهم هذه المواقف.

ولكنّ الإنسان الحرّ لا بدّ أن ينتفض يوماً ما، كما انتفض إخوتنا وأبناؤنا في

الأقصى. لا بدّ لهذه القمّة أن ترعى هذه الانتفاضة، وأن تؤيّدها بكلّ ما تستطيع، أن تؤيّد المقاومة وأن تشدّ أزر المقاومة، ولا داعي لهذه الكلمة التي أوقفتنا موقف الخنوع أمام إسرائيل: أنّ السلام خيار استراتيجي! يعني ليس لنا حلّ غير هذا. هذا هو مبدأ الضعف، والله السلام إن كان هناك طريق إلى السلام، فإذا لم يكن سلام عادل وآمن وشامل ويعطي كلّ ذي حقّ حقّه فما معنى السلام؟! هذا هو السلام الذي نهى الله عنه حينما قال: ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمّد: ٣٥].

لا بدّ أن تستمر المقاومة، وإذا لم يكن القادة والزعماء على قدرة على فنّ الحرب واستبعدوا الحرب، فعلى الأقلّ افتحوا الطريق للمقاومة الإسلاميّة.

الأمّة الإسلاميّة تتجاوب مع هذه الانتفاضة، الأمّة الإسلاميّة تجمعها دائماً المآسي التي تنزل بالمسلمين، رأينا هذا في قضيّة أفغانستان فقد تجاوب المسلمون في أنحاء العالم مع الجهاد الأفغاني، رأينا ذلك في قضيّة البوسنة والهرسك، ورأيناه في قضيّة كوسفو، ورأيناه في قضيّة الشيشان.

الجماهير المسلمة في المشرق والمغرب، في الشمال والجنوب، هذه الجماهير كلّها تتجاوب مع المآسي الإسلاميّة وتحسّ بها وتعيشها.

هذا ما ينبغي أن يعيه قادتنا.

طالما قلت: لو أنّ الفلسطينيّين فرّطوا في أرضهم وفي مقدّساتهم وتقاعسوا عن القيام بواجبهم، لوجب علينا نحن المسلمين أن نقاومهم ونحاربهم، لأنّ القدس والأقصى ليس ملك الفلسطينيّين وحدهم، ولا ملك العرب وحدهم، بل هو ملك المسلمين جميعاً. وليس ملك هذا الجيل وحده، لو فُرض أنّ الجيل تقاعس وتقاعد وتخاذل، فلا ينبغي أن يفرض تقاعسه وتخاذله على أجيال الأمّة القادمة، من حقّ هذه الأجيال أن يكون لها صوت وأن يكون لها موقف.

إنّنا نطالب القمّة الإسلاميّة التاسعة بأن يكون دورها حاسماً، وموقفها

واضحاً، من هذه القضيّة المقدّسة العظيمة، قضيّة المسلمين الأولى، القضيّة المحوريّة، القضيّة المركزيّة التي طال عليها الأمد ولم تحل.

ولا يمكن أن تُحل إلاّ بالجهاد، هذا ما علّمناه التاريخ، وما علّمناه الواقع.

والجهاد ألوان وأنواع، منها الجهاد بالمقاطعة، مقاطعة البضائع الإسرائيليّة والأمريكيّة وكلّ من يؤيّد إسرائيل. يجب أن يشعر هؤلاء أنّ الأمّة الإسلاميّة تعرف من يعاديها ومن يصادقها، من هو لها ومن هو عليها. لا ينبغي أن أُربح الذين يقتلون إخواننا وأخواتنا وأبناءنا وبناتنا في فلسطين وأشتري منهم السلعة، ثمن هذه السلعة قد يتحوّل إلى رصاصة تقتل إخواننا وأخواتنا هناك.

لا بدّ للقمّة الإسلاميّة أن ترعى هذا.

ولا بدّ للقمّة الإسلاميّة أن تعالج القضايا المعلّقة، أن يكون لها رأيها واضحاً. لا يجوز أن يظلّ هذا النّزاع المسلّح بين أبناء أفغانستان، رفاق الجهاد قديماً ورفقاء السلاح أصبح يقاتل بعضهم بعضاً بعد أن كانوا جبهة واحدة يقاتلون السوفييت الذين كانوا يضربونهم من فوق ومن تحت بالطائرات والدبابات، ونصرهم الله عليهم، ولكنّهم انتصروا على السوفييت ولكن لم ينتصروا على أنفسهم! وهذه مشكلتنا: أنّنا كثيراً ما نتقن فنّ الموت في سبيل الله ولا نتقن فنّ الحياة في سبيل الله.

أمّتنا مطلوب منها في صورة قادتها وزعمائها أن تفرض حلاًّ لهذا الإشكال الدموي، كلّ أفغاني يُقتل وكلّ مبنى يُدمّر وكلّ منشأة تُخرّب بأيدي الأفغانيّين بعضهم وبعض، هذه كبيرة من الكبائر، وهذه كارثة من الكوارث، ينبغي للأمّة أن تجد لها حلاً.

لماذا لا تكون هناك محكمة عدل إسلاميّة تُعرض عليها القضايا الإسلاميّة المختلف فيها.. قضايا الحدود وقضايا النّزاعات؟ لماذا لا يكون للأمّة الإسلاميّة سوق إسلاميّة مشتركة تحقّق التكامل ولو مرحليّاً مرحلة فمرحلة بين أبناء الإسلام؟

إنّ القضايا المعلّقة لا بدّ للأمّة أن تقف فيها وتقول فيها رأيها.

قضيّة كشمير التي طال عليها الزمن، وهى قضيّة عادلة كلّ العدل. لو أنّ ما اتبع فى التقسيم طبّق على كشمير، لكانت كشمير مع باكستان، فقد كان قرار التقسيم يقول: البلاد التي فيها أغلبيّة هندوسيّة تكون تبع الهند، والبلاد التي فيها أغلبيّة مسلمة تكون تبع باكستان. وكانت كشمير ذات أغلبيّة كبيرة وواضحة من المسلمين، ولكنّهم للأسف لم يطبّقوا هذا. وظلّ هذا النزاع قائماً حتى اليوم، ولا بدّ لنا أن يكون لنا حل، لا معنى لمجاملة الهند على حساب باكستان كما يفعل كثيرون، الحق أحقّ أن يُتبع. لا بدّ أن نقول كلمة الحق، ونصدع بكلمة العدل، ونكون مع إخواننا الذين ظلموا ظلما بيّنا، والذين قُتّل منهم من قُتّل وشُرّد منهم من شُرّد وسُجن منهم من سُجن وعُذّب منهم من عُذّب.

هناك قضايا عديدة من قضايا الأمّة الإسلاميّة، لا بدّ لنا – أيّها الإخوة – أن ننتظر من قادة الأمّة ومن زعمائها وحكّامها أن ينظروا إلى هذه القضايا نظرة واقعيّة ونظرة فيها الشجاعة وفيها الأمل.

النظرة التشاؤمية لحال الأمة:

بعض الناس ينظرون إلى الأمور نظرة تشاؤميّة، ويقولون: نحن الآن في دور الهزيمة وفي دور التراجع! لا والله، بل نحن في دور الصحوة.. فى دور الانتفاضة.. فى دور القوّة. لماذا ننظر إلى أنفسنا هذه النظرة المتشائمة التي ترى العالم كلّه ظلاما، ولا ترى بعد الليل فجرا، ولا مع العسر يسرا؟

نحن نقول: إنّ عندنا من المبشّرات الكثير والكثير. عندنا مبشّرات من القرآن الكريم، وعندنا مبشّرات من السّنّة النبويّة، وعندنا مبشّرات من تاريخنا الحافل، وعندنا مبشّرات من واقعنا الماثل، وعندنا مبشّرات من سنن الله عزّ وجلّ. ومن هذه السنن: أنّ الأيّام دول، وأنّ الدهر قُلّب، وأنّ دوام الحال من المحال. قانون التداول قانون أقرّه القرآن حينما قال تعالى: ﴿.. **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ**

النَّاسِ.. ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فإذا كان المدّة الماضية كانت الدولة فيها للغرب أو كانت الدولة فيها للصهيونيّة، فالدور لنا في المرحلة القادمة حسب دوران الأيّام، حسب سنّة التداول، الدور لنا وليس الدور علينا.

وكم رأينا من قوى ضعف، وكم رأينا من دول انهارت، كما رأينا الاتحاد السوفيتي على ما كان يملك من ترسانات نوويّة ومن قوى عسكريّة هائلة. سقط هذا العملاق وخرّ صريعاً، وما كان الناس ينتظرون له أن يسقط بهذه السرعة.

نحن إذن ننظر إلي المستقبل بعين الأمل، ونعتقد أنّنا نملك إن شاء الله من المقوّمات ما يجعلنا أمّة المستقبل لو وظّفنا ما عندنا، لو جنّدنا القُوى المذخورة في أمتّنا: قوى الإيمان.. قوى الروحانيّة.. قوى الأخلاق، هذه القوى المعنويّة هي التي تصنع التاريخ، وهي التي تشير إلى ملامح المستقبل، (إذا غيرّنا ما بأنفسنا غيرّ الله ما بنا) هذه هي القاعدة الاجتماعيّة التي قرّرها القرآن. الماركسيّون يقولون: غيرّ الاقتصاد أو غيرّ علاقات الانتاج يتغيرّ التاريخ، ولكنّ القرآن يقول: غيرّ ما بنفسك يتغيرّ التاريخ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿.. **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**.. ﴾ [الرعد: ١١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

وجوب الوحدة الإسلامية:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كم أتمنّى أن يحضر جميع قادة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها هذا المؤتمرالإسلامي، وأن يتصارح بعضهم مع بعض، وأن يتصالح بعضهم مع بعض.

لا معنى لأن يخاصم بعضهم بعضا، لا معنى لأن تظلّ هناك أشياء متراكمة في النفوس لا نستطيع أن نطفىء جمرتها.

لا بدّ لهذه الأمّة أن تقف وقفة واحدة، في المعركة لا يجوز أن يختلف النّاس، الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤]. عند القتال.. عند المعركة يجب أن يلتحم الصف، وأن يكون الكتف بجوار الكتف، وأن يكون الجميع كالبنيان يشدّ بعضه بعضا.

نحن في معركة كبيرة يجب أن نرصّ فيها الصفوف رصّا، وأن نجنّد فيها القوى تجنيدا، وألاّ نسمح لأحد بأن يخالف الصف. النبي عليه الصلاة والسلام علّمنا في صلاة الجماعة، أن نقف صفّاً واحداً فإنّ الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، كصفوف الملائكة مستقيمة متراصّة، وهذا رمز لحياتنا الإسلاميّة، نتعلّم من الصلاة كيف ننظّم حياتنا.

يجب أن تتراصّ الأمّة في هذا الوقت، وأن تحاول بإخلاص وبجدّيّة أن تحلّ المشاكل المعلّقة. إلى متى تظلّ المشاكل معلّقة بين العراق والكويت، أو بين الفلسطينيّين وبعض النّاس، أو بين هذه الدولة وتلك من أجل الحدود؟ إلى متى نتقاتل ونتخاصم من أجل الحدود ونحن أمّة واحدة؟

لا بدّ للزعماء – وأتمنّى أن يحضروا جميعا – أن يحاولوا الخروج من هذه المآزق. وأتمنّى لو أنّ هذا المؤتمر عقد في كلّ عام مرّة وليس في كلّ ثلاث سنوات، فالأمور التي تحتاج إلى التشاور والتلاقي كثيرة، ولقاء المؤمنين بعضهم مع بعض لا..... إلاّ خيرا، كما قال سيّدنا سلمان: مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قطّ إلاّ أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُسدّد خُطا القائمين على هذا المؤتمر، وأن ينير لهم الطريق، وأن يهديهم سواء السبيل.

اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطا مستقيما، وانصرهم نصراً عزيزا، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمّة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونيّاتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وفي لبنان، وفي كشمير، وفي الفلبين، وفي كلّ أرض من أراضي الإسلام. اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، اللهم أيّدهم بروح من لدنك.

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداءنا أعداء الإسلام، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهم اخذل اليهود الغاصبين المعتدين، اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفُلّ حدّهم. اللهم أحبط مكرهم، وادرأ عن الأمّة شرّهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين.

اللهم يا من أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكت عاداً بريح صرصر عاتية، أهلك هؤلاء الظلمة المعتدين الباغين. اللهم خذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿ .. **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آل وصحبه، وسلّم تسليما كثيرا.

﴿ .. **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سنصلّي صلاة الغائب على أرواح الشهداء بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله.